



+ آباؤنا القديسون

القديس بوليكاربوس

تعيّد الكنيسة المقدسة في الثالث والعشرين من شباط لتذكّار القديس الشهيد في الكهننة بوليكاربوس أسقف إزمير في آسيا الصغرى. اسمه يعني "الكثير الثمر"، وقد كانت ثماره الروحية كثيرة وثمار جهاداته حتى الدم وفيرة فنال إكليل المجد في ملكوت الله.

وُلدَ القديس بوليكاربوس في الربع الثالث من القرن الأول المسيحي في إزمير على الأرجح. عاصر الرسل وعايشهم حتى أن تلميذه، القديس إيريناوس، يذكر في رسالته إلى ترطليانوس أن القديس يوحنا الرسول هو الذي سام بوليكاربوس أسقفًا على إزمير، ربما في أواخر القرن الأول. ويُعتقد أن الرسالة التي وجهها الرسول يوحنا إلى ملاك مدينة إزمير في سفر الرؤيا (٢: ٨-١١) موجّهة إلى بوليكاربوس، وفيها يحثّه على عدم الخوف من الآلام الآتية عليه، ويحذّره من الشيطان الذي سوف يحاول الإيقاع به ويقول له: "كن أميناً حتى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (أية ١٠). ويقول القديس إيريناوس أنه لا يزال يذكر الاحتشام والرصانة التي كان عليها القديس، إضافة إلى قداسة سيرته. وأبرز ما أثر فيه ذكر القديس بوليكاربوس المحادثات التي أجراها مع الرسل الإلهيين معاني الرب. من الذين عرفوا القديس بوليكاربوس كان القديس إغناطيوس الإنطاكي الذي مرّ بإزمير في طريقه إلى الاستشهاد من إنطاكية إلى روما، وحلّ ضيفاً على بوليكاربوس، وأرسل له لاحقاً رسالة من مدينة فيليبي فيها الإرشادات والتعزية (أوائل القرن الثاني).

ساس بوليكاربوس رعيته بأمانة وتفانٍ وحارب الهرطقات التي حاولت النيل من الإيمان القويم. كان رجل محبة ووفاء، حتى أنه زار روما في العام ١٥٥ أو ١٥٧ لملاقاة البابا أنيكيتوس والاتفاق على موعد تعييد الفصح. إذ كان الغرب يعيّد الفصح في يوم الأحد، فيما تعيده آسيا الصغرى يوم ١٤ نيسان في أي يوم وقع. ولما لم يتفقا اشتركا معاً في القداس الإلهي وعاد إلى بلاده دون أن يكون انقسام في الكنيسة. وبقي بوليكاربوس يرعى رعيته إلى أن حان وقت الاستشهاد الموعود، وقد يكون عام ١٦٦.

أما استشهاد فكان على الشكل التالي: حين رأى الوثنيون عظمة احتمال القديس جرمانيكوس ورفاقه العذابات، طالبوا بالقبض على بوليكاربوس زعيم المسيحيين. خرج بوليكاربوس بناءً على إلحاح المؤمنين إلى الكروم، خارج المدينة، وبقي هناك يتضرّع إلى الله من أجل الكنيسة. وقبل ثلاثة أيام من استشهاد شاهد في رؤيا وسادته مطروحة في النار، فأيقن أن استشهاد سيكون عن طريق حرق جسده حياً. طارده الجنود من مكان إلى آخر، وأخيراً ألقوا القبض على اثنين من رفاقه، وقد أرشدهم أحدهما، تحت وطأة العذاب، إلى مكان بوليكلوبوس. أما هو فرفض الهرب مجدداً قائلاً: لتكن مشيئة الله. أُلقي القبض عليه فطلب أن يسمحوا له بالصلاة قبل الإنطلاق، وصلى لمدة ساعتين منتصباً على قدميه، وعمره أكثر من خمسة وثمانين سنة. في الطريق حاول العسكر إقناعه



+ آباؤنا القديسون

بالعدول عن الإيمان حيناً، وتهديده حيناً آخر فلم ينجحوا. أهانوه وعذبوه فلم يتغيّر بل سمع صوتاً سماوياً يقول له: " تشجّع يا بوليكاربوس وكن ثابتاً."

حاول الوالي إقناعه بالطاعة والإشفاق على شيخوخته فرفض وصرخ من أعماق الروح: " ليبدأ المنافقون"، وأضاف: " قد مضى عليّ ثمانون سنة أخدم فيها يسوع المسيح الذي قط ما فعل معي شراً، بل بالحري كنت كل يوم أقتبل منه نعماً جديدة. فكيف إذاً يمكنني أن أقول شراً ضد خالقي، أو أهين حافظي والمحسن إلي وبأي طريقة أستطيع أن أغيظ مخلصي وإلهي الذي هو القاضي الأعلى العتيد أن يكافئ الأختيار وينتقم من الأشرار المنافقين". وفي مناسبة أخرى قال للوالي: " أعلن لك أنني مسيحي أنا وأني أتمجد وأعتزّ وافرح وأهلل بهذا الإسم". كما أعلن أن الخضوع هو لله فقط. ولما أمر الوالي بإحضار الوحوش قهّل القديس واعتبر الأمر رجحاً له لأنها سوف تريحه من أتعاب هذا العالم وترسله الى المجد.

لما عاين الوالي عدم خوفه من الوحوش هدده بالحرق حياً، فأصبح حينها وجه القديس مشعاً نوراً وبهجة. ولأن الفترة المحددة لمشاهدة الوحوش قد انتهت، أمر الوالي بأن يطرح بوليكاربوس حياً في النار. وفيما كان الوثنيون يجمعون الحطب للأتون كان بوليكاربوس يخلع ثيابه بنفسه إستعداداً. وعندما حاول الجلادون تسميره الى خشبة وربطه لكي لا يتخبّط في النار من شدة العذاب، طلب منهم أن يتركوه " لأن الذي يهبني قوة لكي أحتمل شدة حريق النار هو نفسه يجعلني ألبث ساكناً بحدوء من غير احتياج الى مساميركم". أوثقوا يديه وراء ظهره ووضعوه فوق الأخشاب. صلّى وشكر الرب لأنه أوصله الى هذه الساعة الحاضرة " مصيراً إياي أن أشارك بكأس آلام مسيحك حتى تشركني بقيامته أيضاً وبالحياة الأبدية".

أضرموا النار قوية لكنها، بعناية إلهية، لم تلمس جسده، بل كانت تنبعث من جسده رائحة عطرة. لما شاهد الجند هذا طعنوه بحربة وسالت دماؤه غزيرة. وهكذا أكمل القديس تضحيته بالدم ونال تاج الغلبة وإكليل المجد وصُلب عن يمين الآب.

كتب تلاميذ بوليكاربوس سيرة استشهاده التي ما زالت محفوظة عندنا حتى اليوم ويذكرون أنه بعد استشهاده جمعوا رفاتة " التي فاقت قيمتها قيمة اللآلئ وكانت أشرف من الذهب النقي المختبر في البوتقة" ووضعوها في مكان لائق وكانوا يجتمعون كل عام في يوم استشهاده كيوم ميلاده ليقيموا تذكاره. فبشفاعة قديسك بوليكاربوس يا رب ارحمنا وخلصنا آمين.